الآداب العربية
في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

مشاهير المسلمين (تابع)

هذا ما امكننا جمعهُ من تراجم ادباء المسلمين في هذا العشر وهو برضٌ من عدّ ولا نشكّ انهُ اشتهر في بلاد الاسلام غير هؤلاء. الّا انَّ تواريخهم لم تُطبع حتى الآن او تجد منها نُتفاً قليلة متفرّقة لا ينتفع من مضامينها الّا من وصلت يدهُ الى تلك المنشورات وسمح لهُ الزمان بمراجعتها وقليل ما هم

ومنّن اطّلعنا على ذكر بعض آثارهم دون معرفة ترجمة حياتهم الشيخ العالم حمزة افندي فتح الله الذي حرّر مدّة في الاسكندريّة جريدة الكوكب الشرقيّ ثم انتقل الى تونس فعرّضتهُ حكومتها أن يحرّر جريدتها الرسميّة المدعوّة بالرائد التونسيّ مع منشئها منصور افندي كرلّي. فاشتغل بذلك مدّةً منذ السنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م) وكان ذا باع في الانشاء. ولهُ نظم حسنٌ فمن ذلك قولهُ يمدح الوزير الكبير خير الدين باشا بقصيدة مطلعها:

آلاكَ الفرُّ او آثارك الغررُ زها بها في الزمان الجيدُ والطُّرَرُ

ومنها:

الله ملجأنا اذ ليس ينجأنا شرُّ الخطوب وخيرُ الدين لي وَزَرُ
حبرٌ لهُ همّةٌ اعلى وارفع من هام الثريّا ومجدٌ ليس ينحصرُ
وسيرةٌ سرّت الدنيا بشائرُها وضمّخ الكونَ عرفاً مسكُها العَطِرُ
لا زال كهفاً لمن يأوي بساحتهِ في ظلّهِ تسعد الآمال والوطرُ
وكعبةٌ وزراء الفضل انجمُها تزهو بهِ وهو فيما بينهم قمرُ

وكان خير الدين المذكور وزيراً لباي تونس فاشتهر بحسن سياستهِ وتدبيره

للامور. وكان كاتباً بارعاً ألّف كتاباً دعاهُ اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك طبعهُ في حاضرة تونس سنة ١٢٨٥. وهو اجود كتاب وضعهُ احد الشرقيين في وصف الممالك الاوربية وتعريف احوالها المدنية مع لمحة من تواريخها

وعُرف بذلك الوقت في المغرب وبلاد تونس من الادباء الوزير ابو العبّاس احمد بن ابي ضياف والشيوخ ابو عبد الله محمد الباجي واحمد كريم الحنفي وابو النجاة سالم ابو حاجب وابو عبدالله محمد العربي زورق ومحمّد الصادق ثابت وابو راشد يونس العروسي ومصطفى رضوان ومحمّد بن الحسن التطواني وقد قرأنا لكلهم فصولاً في الادب الّا انّ اخبارهم منقطعة عنّا

ومِمّن لم نقف على اخبارهم ونالوا بعض الشهرة في الادب في الطور الذي نحن بصددهِ السيّد عبد الرحمان النحاس نقيب الاشراف في بيروت نشر ديوان خطب مسجّعة قرّظها الشعراء ومما قال فيها الشيخ ابراهيم الاحدب:

انشا لنا الخطب التي الفاظُها ... قد اعربت في السمع لحن مثاني
تقرُّ عندت حُلي المسامع مثلما ... اغنت فتير الفضل بالاحسانِ
اذنت لآلي لفظها بولوجها ... في مسمع الآذان قبل إذانِ

وللسيّد عبد الرحمان قصائد متفرّقة منها قولهُ يمدح الشاعر مصباح البربير:

لقد ضاء مصباحُ مشكاة عصرهِ ... رفاق بحسن الذكر نشر الشمائلِ
فتى من بني البربير حاز براعةً ... وكان بنظم الشعر اوّل قائلِ
به طاب اهل الجد فرعاً وقد سما ... مقاماً على هام البدور الكواملِ
لقد صاغ من نسج القريض نظامهُ ... وجاء بديوان غريب المناهلِ
وكان حديث السنّ لكنّ قدرهُ ... كبيرٌ بانواع العلى والفضائلِ

واصاب في طرابلس بعض الشهرة الشيخ محمّد الموقّت كان يتعاطى الشعر ولهُ مراسلات شعريّة مع الشيخ ناصيف اليازجي منها قصيدة في مدحهِ يقول فيها:

فُه هاتيك الصفات فاضا ... جمت ثناء مشارقٍ ومغاربِ
أتظنُّ كلَّ مهنّدٍ في غمدهِ ... ماضٍ وكلّ غضنفرٍ بمحاربِ
لا يخدعنّك بالجمال فانّهُ ... ما كلّ من سلّ الحسامَ بضاربِ
هذا هو الروض الذي ازهارهُ ... عطّرنَ كل تنوفةٍ وسباسبِ
هذا هو الماء الزلال وغيرهُ ... ملحٌ أجاجٌ ما يلذُّ لشاربِ

هذا هو الفخر الذي شرفت بهِ ابناء دوحتهِ لبعد تناسبِ

وكان في مصر طرابلسيّ آخر يدعى حسن افندي الطرابلسيّ كاتبٌ ايضاً الشيخ ناصيف فمدح الشيخ آدابه وشعرهُ فقال:

يا أيُّها الحسنُ المصونُ طالعُهُ احسنتَ حتَّى ملأتَ السَّمْعَ والبصرا
ما زلتَ تجلو علينا كلَّ قافيةٍ قد شبَّبت بمعاني حسنها الشعرا
بعزِّك الشعرُ انشادًا فنحن بهِ نغوصُ في البحر حتى نجتني الدررا

وكذلك كتب في جرائد مصر الشيخ خليل العزازيّ ونظم القصائد فمدحهُ بحرّر الجوانب بقولهِ:

ألم ترَ كيف يزخرُ بالقوافي فيُبكر من سلافتها العقولا
فتروي كلَّ من امسى غليلًا وتشفي كل من اضحى عليلا

وقام في العراق احمد عزّت الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد الباقي الذي مرَّ لنا ذكرهُ سابقًا. ولهُ آثار شعريَّة لم تُجمع حتى الآن. مدحهُ منشئ الجوانب غير مرَّة لوفرة آدابهِ. واخبارهُ مجهولة لدينا

الادباء النصارى

ظهرت في هذا العهد ثمرة المدارس المسيحية التي أُنشئت في انحاء الشام فخرج منها جمهور من الادباء اخذوا يحرّرون الجرائد ويصنّفون التآليف المختلفة وينظمون القصائد ويمثلون الروايات التشخيصيَّة ويعقدون الجمعيَّات الادبيَّة فيلقون فيها الخطب ويهتمون بتنشيط العلوم فحصلت بذلك نهضة استرقت الابصار وبثت في القلوب رغبة الترقي والتمدُّن

(بنو اليازجي) واوَّل من يتحتَّم علينا ذكرهم الشيخ ناصيف اليازجي واسرتهُ التي كاد الموت يقصف آخر غصونها في العام الماضي بوفاة المرحوم الشيخ ابراهيم نجلهِ. وها نحن نلخّص اخبارهم جميعًا لائتلاف الموضوع وفرارًا من التكرار. اصل هذا البيت من روم حمص. ثم نمت اسرتهم وتفرَّعت الى عدَّة فروع فهاجر قوم منهم في العشر الاخير من القرن السابع عشر الى لبنان فسكنوا جهة الغرب واستوطن غيرهم وادي التيم وكان بعضهم دخل في خدمة عمَّال الدولة في اواسط القرن الثامن عشر

بصفة كاتب فعُرف باسم اليازجي اي الكاتب وعُرف بهِ ابناؤهُ من بعدهِ . وقد جاهر هذا الفرع بالمذهب الكاثوليكي مع أُسر أُخرى كبيت البحري وبيت كرامة في منتهى القرن الثامن عشر وسكنوا كفرشيما من قرى ساحل بيروت . وكان عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط والد الشيخ ناصيف طبيباً درس الطبّ على بعض رهبان الشوير وتعاطاهُ بالعمل فحذق بهِ . وكان مع ذلك محبًّا للآداب العربية يطالع من كتب اللغة ما يحصل عليهِ ووسائل التعليم في ذلك الوقت قليلة . وتعلّم الشعر فنظم بعض القصائد التي لعنتها ايدي الضياع . ومما روى لهُ حفيدهُ الشيخ ابراهيم قولهُ يمدح ديوان شعر للقس حنانيًّا متيّر صاحب التآليف التي سبق لنا وصفها :

عش بالهنا والخير والرضوان يا من حُبيتَ بنظم ذا الديوانِ
اني لقد طالعتهُ فوجدتهُ نظمًا فريدًا ما لهُ من ثانِ

وكان مولد ناصيف ابنهِ في كفرشيما في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠ درس مبادئ القراءة والكتابة على القس متى الشبابيّ ثم شعر برغبة عظيمة في معرفة اصول اللغة وفنون الآداب فانكبَّ عليها بنشاط وحرصَ على اتقانها ما امكنهُ فنال منها نصيباً حسناً . ثم درس الطبّ على والدهِ ووضع فيهِ ارجوزةً سمّاها الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم لم تُنشر بالطبع . ودرس ايضاً فنّ الموسيقى ووعى كثيرًا من اصولها ودقائقها . وكان مغرى بالتاريخ مواظباً على قراءة اخبار القدماء فيحفظ منها تفاصيل كثيرة لا تبرح من ذاكرتهِ اذا انطبعت فيها مرّةً

لكنَّ الادب غلب على الشيخ ناصيف فبلغ فيهِ مبلغاً عجيباً قيل انهُ استظهر القرآن وحفظ كل ديوان المتنبّي وقصائد عديدة من الشعر القديم والمولّد لا يخلّ فيها بحرف . وكان في اوقات الفراغ ينسخ ما يحصل عليهِ من الآثار الادبيّة بخط جميل شبيه بالقلم الفارسيّ

ومما امتاز بهِ على اهل زمانهِ شعرهُ فانهُ نبغ فيهِ على ما روي وعمرهُ لا يتجاوز عشر سنين فكان يقول الشعر عفوًا على البديهة ويأتي بكل معنى بليغ . وكان في اوّل امرهِ ينظم المغنّى والقرّاديات تفكُّهاً . وقد تلف معظم هذه المنظومات العاميّة

وسطع في ذلك الوقت نجم الامير بشير الكبير فقصدهُ الادباء والشعراء ومدحوه

ونالوا من سجال فضلهِ منهم المعلم الياس ادّه وقولا التركّ وبطرس كرامة فسار الشيخ ناصيف الى بيت الدين واتصل بهؤلاء الادباء فقرَّبوهُ من الامير الذي اتخذهُ كاتبًا لاسرارهِ ورفع شأنهُ. وللشيخ في مخدومهِ قصائد جليلة منهـا رائيَّتهُ التي قالها مهنئًا لهُ سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م) واوَّلها:

جنبك جنبك هذا النصرُ والظفرُ فاذهَبْ اذن انت لى فلتعبر البشرُ

وبقي في خدمتهِ اثنتي عشرة سنة. فلمَّا كُفَّت يد الامير عن تدبير لبنان سنة ١٨٤٠ فارقهُ الشيخ ناصيف ونزل مع اهلهِ الى بيروت فسكنها الى سنة وفاتهِ

وفي هذه الثلاثين سنةً الاخيرة من عمرهِ انقطع الى التأليف في بيتهِ والى التدريس ومراسلة الادباء فحظي بشهرةٍ عظيمة. وسمع بهِ المستشرقون فكاتبوهُ واقترحوا عليهِ عدَّة مصنَّفات اجابهم الى وضع بعضهـا فطبعوها في مجلَّاتهم. وكان علماء الشرق يتسابقون الى مكاتبتهِ ويتناوبون بينهم القصائد والرسائل. ومن فضل الشيخ ناصيف انهُ سعى مع بعض ادباء الشام بعقد الجمعيَّة السوريَّة لترقية الآداب ورفع منار العلوم. وكان لهُ في كل المساعي الادبيَّة يدٌ مشكورة حتى اصبح في بلاد الشام كقطب العلوم العربية وشرعة المعارف الوطنيَّة

واشتغل ايضًا مع اصحاب الرسالة الاميركيَّة فنظم لهم المزامير وبعض الاغاني الدينية واستفادوا منهُ ايضاً في تعريب الاسفار المقدَّسة التي نشروها في مطبعتهم

امَّا تآليف الشيخ ناصيف فكثيرة مشهورةٌ سردنا اسماءهـا في تاريخ الطباعة في اعداد سنتنا الثالثة واشهرها مقاماتهُ السُّتون المعروفة بمجمع البحرين التي عارض فيها المقامات الحريريَّة طُبعت مرارًا في المطبعة الاميركية ثم في مطبعتنا الكاثوليكيَّة. ولهُ كتاب فصل الخطاب في الصرف والنحو. وجوف الفرا والحزانة وهما ارجوزتان في اصول النحو نظمهما وعُني بشرحهما. وكتاب عقد الجمان في البيان مع ملحق في العروض. ولهُ شرح على المتنبي اتمَّهُ ابنهُ الشيخ ابراهيم ووسمهُ باسم العرف الطيِّب في شرح ديوان ابي الطيِّب. وشعرهُ متفرِّق في ثلاثة دواوين كتاب نفحة الريحان وكتاب فاكهة الندماء في مراسلات الادباء وكتاب ثالث القرين. وقد قصد الاديب ميخائيل افندي ابراهيم رحمة جمع شعرهِ في ديوان طُبع منهُ نبذتان في المطبعة الشرقية

في الحدث وفي المطبعة الادبيّة مصححاً بقلم نجلهِ المذكور. والمأمول ان ينجز قريباً هذا العمل ويضيف الى المجموع ما لم يزل مخطوطاً او شارداً من القصائد

وشعر الشيخ ناصيف يجمع بين الرقّة والمتانة يضارع نظم اجود الشعراء في كل ابواب المعاني وقد مرَّ لنا عدّة اقوال من قلمهِ تشهد على براعتهِ ورسوخ قدمهِ في آداب الشعر. وقد مدح اكثر مشاهير عصرهِ وادباء زمانهِ ورثى قوماً من الكرام الذين انتقلوا الى دار البقاء في أيامهِ ولهُ التواريخ المتعدّدة التي زان بها قبورهم او علّمها على الآثار البنائيّة والكنائس وغيرها. فمن مديحهِ قولهُ من قصيدة غرّاء رفعها الى جلالة السلطان عبد العزيز وضمَّن كل شطر منها تاريخاً لسنة ١٢٨٣ :

قالَ الاله علينا ارجُ طالعهِ ... قد فاق فوق جهات الأفق كالعلَمِ
في خلقهِ عجبٌ في عزمهِ طربٌ ... واحسانهُ سُحبٌ يَمْطرن بالكرمِ
امين ربّ الورى في الكون موتمنٌ ... على العباد لحقّ العهد والذمَمِ
قد درَّ بني عثمانَ من صدقوا ... بطيب حملٍ ووضع حافل النِّعَمِ
بنوا لنا برج سعدٍ رُسّلُ طلعتهِ ... تدعو الأنام الى احياء شكرهمِ
بابُ السعادةِ باب النصر ساكنهُ ... كهفُ المطالب من حاماهُ لم يُضَمِ

ومدح نابوليون الثالث بقصيدة افتتحها بهذه الابيات :

من قال انَّ الدهر ليس يعودُ ... هذا زمانٌ عادَ وهو جديدُ
قد عاد نابليون بعد زوالهِ ... فكأنَّ ذلك يومهُ الموعود
يا من يقول لرمّتي في لحدهِ ... انَّ العيد كان علمتِ سعيدُ
هذا خليفتهُ الذي احيا الورى ... احياكِ حتَّى اخضرَّ منكِ العودُ
لا تُفقِد الدنيا فقيد عزيزها ... ما دام يخلفُ تربَها المولودُ
تتجدَّد الاشخاص فيها مثلما ... يُفرَى القضيبُ فينبتُ الاملودُ

ولهُ في مديح الملكة فيكتوريا من قصيدة :

اليوم قامت فتاةُ الملك بارزةً ... وقام من قبلها اسلافُها الاوَلُ
فرعُ الاصول التي مرَّت وجحتها ... انَّ الثمار من الاغصان تُجتذَلُ
يستحسن الملك فيها والخضوع لها ... وليس يحسنُ فيها الجبن والبخَلُ
باهى الرجالَ نساء الدهر وافتخروا ... حتَّى اتت فأصاب المدّعي الخَجَلُ
اذا صفا لك نور الشمس في فلكٍ ... فما الذي تفرقُ الجوزاء والحمَلُ
في قلبها خاتم التقوى وفي يدها ... من خاتم الملك ما يجري به المثَلُ

قد التقى الدينُ والدنيا بساحتها كما التقى الكُحل في الاجفانِ والكَحلُ

ولهُ قصائد أُخرى في مدح الخديويين اصحاب مصر ابراهيم باشا وسعيد باشا واسمعيل باشا. وكثيرًا ما كان يجمع في هذه المدائح انواع الجناسات والفنون البديعيَّة الصعبة المرتقى الدالَّة على تذليلهِ للمشكلات اللفظيَّة والمعنويَّة لكنَّ التعسُّف ظاهر في بعض هذه المنظومات التي وضعها لمعارضة قومٍ من شعراء القرون المتأخرة. ومن هذا القبيل بديعيَّتهُ التي التزم فيها تسمية الجناس والنوع اوَّلها:

عاج المتيَّم بالاطلال في الحَلَم فأبرع الدمع في استهلالهِ الدرم

ومن احسن شعر صاحب الترجمة مراثيهِ التي اوردنا منها امثلة. ولهُ من قصيدة يرثي بها الطبيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم:

ركنٌ هوى في دار مصر اوشكت منهُ رُبى لبنان ان تتعطَّرا
نعشت بهِ الاسكندريَّةُ هيبةً فكأنَّ فوق سريرهِ الاسكندرا
يا أيُّها الطود الذي عشت بهِ ايدي المنون فال عطول السُّرى
غدرت بك الايَّام مظلومًا كما تُدعى فألفت في التراب الجوهرا

ولهُ في رثاء صغير واجاد:

أستودعُ الله في طيِّ الضريح فتًى كالغصن معتدلًا والبدر مكتملا
كنَّا نؤمِّل ان نحيي لهُ قمرًا فخيَّب الدهرُ منَّا ذلك الامَلا
خان الزمان لهُ عهد الصبا وبغى عليهِ داعي المنايا اذ اتى عجلا
قد أيبسوهُ الثياب البيض فاصطبغت بحُمرةٍ من دم الدمع الذي انهملا
والناس من حولهِ غشي وقد نكست رؤوسها وصراخُ الباكيات علا
يا رحمة الله حُلِّي فوق تربتهِ كما حللتِ على نعشٍ بهِ حُملا

ومن مراثيهِ ما قالهُ في موت ابنهِ حبيب وهو آخر ما نظم قبل شهر من وفاتهِ ولم يتمَّ رثاءهُ لحزنهِ:

ذهبَ الحبيب فيا حشاشتي ذوبي اسفًا عليهِ ويا دموعُ أجيبي
رَبَّيتهُ للبَيْن حتَّى جاءهُ في جنحِ ليلٍ خاطفًا كالذيبِ
يا أيُّها الامُّ الحزينةُ أجملي صبرًا فانَّ الصبرَ خير طبيب
لا تخلعي ثوب الحداد ولازمي ندبًا عليهِ يليقُ بالمندوبِ
هذا هو الغصن الرطيبُ اصابهُ سهم القضاء فبانَ غيرَ رطيبِ
من للكتابة والحسابة بعدهُ ولصحَّة التدبير والتدريبِ
لا استحي ان قلتُ قلَّ نظيرهُ بين الرجال فلستُ غيرَ مصيبِ

والمرء يطلقُ في الكلام لسانهُ ان كان لا يخشى من التكذيبِ
اني وقفتُ على جوانب قبرهِ استي تراهُ بدمعي المصبوبِ
ولقد كتبتُ لهُ على صفحاتهِ يا لوعتي من ذلك المكتوبِ
لكَ يا ضريحُ كرامةٌ وعمَّةٌ هندي لانَّك قد حويتَ حبيبي

ومن تمازيهِ اللطيفة قولهُ يخاطب تاجرًا أُصيب بمالهِ:

يا باغي السعر لا تُشفقْ على الشاري قدرمُ السعر يسوى (كذا) الف دينارِ
لا شيء كالسعر يشفي قلب صاحبهِ ولا حوى مثلهُ حانوت عطَّارِ
هذا الذي تحمد الاحزانَ جرعتهُ كبارد الماء يطفي حدَّة النارِ
ويُحفظ القلبُ باقي (كذا) في سلامتهِ حتَّى يُبدَّل اعسارٌ بايسارِ
يا من حزنت لفقد المال امك قد خُلقتَ عارٍ (كذا) وما في ذاك من عارِ
كما اتى امس ذاك المالُ مكتسبًا يأتي غدًا من بديع اللطف جبَّارِ

ومن زهريَّاتهِ قولهُ:

مرَّ النسيم على الرياض مسلِّما سحرًا فردَّ هزارها مترنِّما
احنى اليهِ الزهرُ مفرق رأسهِ ادبًا ولو ملك الكلام تكلَّما
يا حبَّذا ماء الغدير وشمسهُ تعطيهِ دينارًا فيُقلب درهما
عبث الرياحُ بهِ كتابةَ بعضها فتخاصمت من فوقهِ فتهشَّما

ولهُ هجوٌ قليل فمن ذلك قولهُ لثقيل:

كفَّ عنِّي لا ابا لكْ قد تبيَّنَّا مُحالكْ
ومرفنساك والَّا فتى خرفُ حالكْ
قد مضى لي بك عصرٌ حاملًا فيهِ ملالكْ
حسبُ قلبي منك جورٌ كاد منهُ يتهالكْ
سنرى النادمَ منَّا وليُّ اللهُ نالكْ

وقال في بخيل:

قد قال قومٌ انَّ خبزك حامضٌ والبعض اثبت بالحلاوة حكمهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ من ذاقهُ يومًا ليعرف طعمهُ

ومن حِكَمهِ المأثورة:

اني لقد جرَّبتُ اخلاقَ الورى حتَّى عرفتُ ما بدا وما اختفى
كلٌّ يذمُّ الناس فالذي نجا من ذمِّهِ يدخلُ في ذمِّ اللا
ولا يحبُّ غير نفسهِ فما احبَّهُ فهو الى النفس انتمى
يعرف كلٌّ حالهُ فيما مضى الَّا الذي كان دنيًّا فارتقى

وكلُّ علمٍ يدرك المرءُ سوى عِرفانِ قدر نفسهِ كما اقتضى
وكلُّ من لا خير منهُ يُرتجى ان عاش او مات على حدٍّ سوا

ومما برَّز فيه قولهُ في الدين المسيحيّ:

نحنُ النَّصارى آلُ عيسى المنتمي حسبَ التأنُّس للبتولةِ مريم
وهو الإلهُ ابنُ الالهِ وروحهُ ثلثٌ في واحدٍ لم تُقسَم
للآبِ لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنهُ وكذا هما والروح تحتَ تقنُّم
كالشمسِ يظهرُ جرمها بشُعاعها وبحرّها والكلّ شمسٌ فاعلم
والله يشهدُ هكذا بالحقّ في سفرِ التوراةِ الكليمِ مُسلَّم
عن آدمٍ قد قال «صارَ كواحدٍ منّا» بلفظ الجمعِ من ذاك الفم
خلقَ البسيطةَ واحدًا في جوهرٍ أحدٍ لخدمةِ آدمَ المستخدَم
لكن عصاهُ بزلّةٍ لا تنمحي الّا بإرسال ابنه المتجسّم
فأتى وخلَّصهُ وخلَّص نسلَهُ ذاك المخلّصُ من عذابِ جهنّم

ومنها في وصف اعمال السيد المسيح وآياته:

شهدَت عجائبُهُ لهُ في عصره قدرَى الحكيمُ وتاهَ من لم يفهم
ولما عليهِ أدلَّةٌ قطعيّةٌ عقلًا ونقلًا ليسَ قطعَ تحكُّم
قد جاء لا سيفٌ ولا رمحٌ ولا فرسٌ ولا شيءٌ يُباعُ بدرهم
يأوي المنارةَ مثل راعي الضأنِ لا راعي الممالكِ في السرير الاعظم
وهو ابن يوسف لا ابن قيصرَ عندهم يغزو بجيشٍ في البلادِ عرمرم
فاتاهُ من شعبِ اليهود جماعةٌ كانوا على الدين التليد الاقدم
وتباعدوا من قومهم بمذلّةٍ يأبون كلَّ كرامةٍ وتنعُّم
قالوا هو ابن الفقرِ جهرًا والبدى من حولهم مثل الذئاب الحُوَّم
والناسُ بين عواذلٍ وعواذرٍ لهمُ وبين مُحلِّلٍ ومُحرِّم
ما غرَّكم يا قومُ فيهِ أسيفُهُ ام جاههُ ام مالهُ في الانعُم
هو ساحرٌ يُطغي فقالوا لم نجدْ من ساحرٍ يُحيي الرميمَ بطلسَم
كانت رجالُ الشرِّ تحيي ميّتًا بصلاحها ودعائها المتقدّم
وتراهُ يُحيي الماتتين بامرهِ فهو الاله ومن تشكَّك بندَم
ولئن هُمُ اخدعوا لتقلّبهم فقد ضعُفَت عقولهمُ كمن لم يحلُم
فترى بما خدعوا البلاد ومن بها من عالمٍ يُفتي ومن مُتعلّم
فاذا اعتبرنا ما ذكرتُ بدا لنا بالحقّ وجهُ الحقّ غير ملثَّم

وأُصيب الشيخ ناصيف في السنتين الاخيرتين من عمرهِ بفالج نصفيّ تحمَّل مضضهُ بالصبر ثم دهمتهُ سكتة دماغيّة فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله. ومما طُبع لهُ من التآليف في اوربّة رسالتهُ الى المستشرق دي ساسي نقلها الى اللاتينيّة وعلّق

عليها الحواشي الاستاذ مهرن (Mehren) وطبعها في ليبسيك . وقد وجدنا في مكتبة برلين الملكيَّة رسالة مطوَّلة في احوال لبنان وسكَّانه وامرائه واديان اهله لا نشكّ انها له وان لم يُذكَرْ فيها اسمهُ . وهذه الرسالة نقلها الى الالمانية العلَّامة فليشر (Fleischer) ونشرها في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG. VI, 98, 388) ثم نشرتها ايضاً مجلة الهلال في سنتها الثالثة عشرة (ص ٥١٣ و ٥١٦) ونسبتها الى اندراوس صوصه (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

La Province de Bagdad : son passé, son présent, son avenir, avec des notes sur le chemin de fer de Bagdad et une étude sur les tribus nomades de la Mésopotamie par Habib K. Chiha. *Le Caire*, 1908, VI - 337.

ولاية بغداد

هذا اوَّل كتاب صنَّفهُ احد الشرقيين في اللغة الافرنسيَّة عن ولاية بغداد يصح في موَّلفهِ المثل انَّ صاحب الدار ادرى بما فيها . ولا عجب فانَّ جناب حبيب افندي شيحا استوطن بغداد منذ حداثتهِ وتقلَّب في دوائرها واختلط باهلها وحظي عند قناصل الدول المتصَّين فيها وتردَّد على القبائل المجاورة لها . وها هوذا قد جمع في هذا الكتاب ما عاينهُ واختبرهُ وسمعهُ عن ولاية بغداد في كل احوالها التاريخيَّة مباشرةً باصلها على عهد الخليفة العبَّاسي ابي جعفر المنصور الى زماننا الحاضر . ثم الجغرافية ثم الصناعية والتجاريَّة ثم الاثريَّة كوصف الآثار القديمة المكتشفة في العراق والآثار المستحدثة من مزارات ومشاهد ومساجد وابنية خطيرة يليها نظرٌ في العادات الجارية عند اهلها المسلمين والنصارى واليهود ثم ابحاث مختلفة اقتصادية في تعريف سككها ومواصلاتها البرّيَّة والنهريَّة مع البلاد التي تقرب منها كجزيرة العرب وبلاد الشام والعجم اضاف اليها وصفاً للسكة الحديديَّة البغداديَّة التي نال امتيازها الالمان . وقد ختم هذا القسم بلمحةٍ في القنصليَّات الاجنبيَّة في دار السلام . وللكتاب ملحقٌ غاية في النفاسة عن القبائل العربية التي تسكن العراق وما بين النهرين ضمَّنهُ كل ما يجبُ القرَّاء معرفتهُ عن اهل البادية من مساكن وانساب وتقاسيم وتدبير وغزو وعادات اهليَّة شتى في